عزف منفرد

الطبعة الثانية



شعر

أشرف العناني

عزف منفرد

الطبعة الثانية

شعر

أشرف العناني

صدرت الطبعة الأولى عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٦ .. الغلاف الجديد فكرة الشاعر والصورة التي تتصدره من زمن الصدور الأول وهي بعدسة صديقه فنان الفوتوغرافيا الأستاذ شبل بركات

صدر للشاعر :

(عزف منفرد) شعر : الهيئة العامة لقصور الثقافة " سلسلة إبداعات ١٩٩٦

(صحراء احتياطية) شعر : شرقيات ٢٠١٢

(سيناء حيث أنا – سنوات التيه) سيرة مكان : الكتب خان ٢٠١٥

---

ashrafanany@hotmail.com

عاري العزيز

منذ عدة أيام وأنا أعيد قراءة كتاب " انتقام الجغرافيا : ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة عن الحرب وعن المصير " لروبرت د . كابلان ، الكتاب يستحق إعادة القراءة لأسباب عديدة لعل أهمها أن الجغرافيا في الكتاب ليست فقط مجموعة من العوائق الطبيعية التي تلجم إلى حد بعيد طموح العولمة وتسطيح الحياة الإنسانية فوق هذا الكوكب المريض والمصاب بلعنات لا شفاء منها ، ثمة سمات ثقافية واجتماعية تقف خلف تلك العوائق لتقاوم وتساند الجغرافيا في لجم هذا الطموح .

كأنني - كأحد المصابين بلعنة الأمل - رأيت في الكتاب فرصة للقول بأننا ما زلنا نملك ما يجعلنا ندعي مصائر أكثر رحمة ، بالمعني المقبول أقل توحشًا . في أحد مواضع الكتاب تعرض كابلان ل " فوكوياما " ولما قرره في كتابه الشهير " نهاية التاريخ " الذي تكلم فيه عن انتصار الليبرالية الرأسمالية وحسمها لصراع الأيدلوجيات ، في موضع آخر تحدث كابلان عن تراجع فوكوياما نفسه عن تلك القناعة وميله إلى الظن بأن الأيدلوجيات ليست وحدها من تحكم العالم ، ثمة تمايزات إثنية (عرقية) وثقافية واجتماعية تتدخل في الصراع وتفعل ما عليها لفرملة طموح العولمة .

ما قاله فوكوياما في نهاية التاريخ عن انتصار الليبرالية و الديمقراطية له ما يبرره ، ما يقف كحجر عثرة في ظني هو التوحش ، الرأسمالية المتوحشة هي وحدها التي تشوه إنسانية الليبرالية ، المعضلة أن العولمة والرأسمالية المتوحشة هما تطوران طبيعيان لا مفر منهما للرأسمالية الليبرالية ، و علينا إن كنا نبحث في مستقبل واعد أو على الأقل آمن أن نحل تلك المعضلة ولكن كيف ؟.

كحال الليبرالية تظل قصيدة النثر الشكل الأكثر ديمقراطية للكتابة الشعرية في تلك اللحظة الإنسانية وأظن ذلك سيبقى طويلاً ، ما أعطته قصيدة النثر للنص الشعري لا يمكن استسهاله ، في المقابل ما سلبته منه _ خصوصًا في النماذج المتشنجة منها – هو الكثير أيضًا ، هل يمكنني هنا أن أتحدث عن قصيدة نثر متوحشة كحال الليبرالية المتوحشة ، أظنني بقليل من المجازفة من الممكن أن أفعل ! ، الليبرالية إذن ليست الشكل الأخير من أشكال الحوكمة ، قصيدة النثر هي الأخرى ليست الشكل الأخير للكتابة الشعرية ، كلاهما مفتوحان على مصائر لا بديل عن أن تكون أكثر رحمة وانفتاحًا حتى وإن تخلتا عن جزء أساس من غرائزهما الأساسية وهو الحرية الغير محدودة .

حسناً في تلك اللحظة الباهظة حيث بلدان كانت هنا يقضم وجودها زوال بلا عينين هل يصلح التهكم وحده ؟ ، السخرية بلفظ آخر ؟ ، المفارقة ، تلك الألاعيب المستعملة بدأب في النصوص الجديدة ؟ ، وإن كنت أعجب شخصياً بأحدهم ما زال يدهشني وهو يفعلها ، ليست لدي أي تحفظات على شعوب اللايكات ، بل ربما أقف أبعد من ذلك وأوافق يوسف بزي على أن الاستاتيوس (هل هكذا يسمونه ؟) بحد ذاته كتابة نوعية جديدة ، أرض جديدة بتعبير صديقي أحمد سواركة ، لست هنا في موقف تقييم ولا مرارة من أن شاعر كوديع سعادة لا يتابع صفحته على الفيسبوك سوى مئات ، أعرف أن هذا ليس معياراً ، الجودة والرداءة ليست هماً بالنسبة لي ، في النهاية ما أنتظره هو نص يحركني ، يحركنا من مكاننا ، في النهاية ينتصر للحياة وكائناتها الصغيرة التي تتبرأ من كل هذا الظلام .

جيد ، وما علاقة كل هذا بشاعرٍ يسكن في أحد أقسى أطراف الحياة ويفكر في إعادة نشر ديوان قديم ؟ . اعتبارا من نهاية الألفية الثانية وحتى ٢٠١٠ تقريباً ظل ساكن الأطراف هذا مشغول بأمرين اثنين ، تحويل بوصلته من قصيدة التفعيلة إلى قصيدة النثر ، ثانيهما وهذا هو المهم أن يحدث هذا دون يحمل على ظهره عقدة الذنب وكراهية هذا الماضي الذي ظل جزءاً من ذاته ، لا ينكره ، يحبه ولا يخجل منه ، المشكلة أنه كان على اتصال بما يحدث هناك في المركز ، في القاهرة ومراكز ثقافية أخرى من مصر كانت تتبنى أنه لا مجال من الفكاك من سلطة قصيدة التفعيلة إلا بالمرور فوق جثتها ، عبر مجلة الجراد وغيرها من الإصدارات التي تبنت قصيدة النثر المصرية على وجه الخصوص ، حتى في التداول الشفوي بين الجماعات الشعرية " الشلل " بالتعبير المصري لم يكن يرى سوى المعاول ، السواطير والسنج(بالتعبير المصري) التي لا هم لها سوى جز رقبة أي نص شعرى ينتمي لقصيدة التفعيلة ، وفرش الملاية (بالتعبير الشعبي) لصاحبه ، كان يقول لنفسه : " بوصلتي على حق ، ما أؤمن به هو أن قصيدة النثر هي الأوكسجين الذي سيسعف الكتابة المصابة بقصور حاد في دورتها الدموية " ، لكن تلك الجهامة في الموقف والتي انعكست بالضرورة على كتابة ظلت متصلبة ، أتكلم هنا عن ما انتجته قصيدة النثر المصرية في تلك الفترة المبكرة على وجه الخصوص ، هل كان لهذا التشنج في الظاهرة المصرية انعكاسات من الصراع الجيلي (جيل الستينيات ضد جيل السبعينيات والعكس ، وجيل الثمانينيات ضد الاثنين ثم أخيرا كتاب قصيدة النثر ضد الجميع) ؟ ، هل كان لكل أثر في تصلب مواقف ونصوص كتاب قصيدة النثر في تلك الفترة ؟ ، ربما .

من حسن الحظ في تلك اللحظة الفقيرة أن يظل ساكن الأطراف هناك بعيدًا ، أن تصله شظايا تلك الحروب وقد بردت وبطلت فاعليتها ، من حسن الحظ أيضًا أن هذا النأي أتاح له الإطلاع على مشاريع عربية لقصيدة النثر أكثر تسامحًا ، أو بالتعبير الأدق لا تعنيها تلك المعارك من قريب أو بعيد : " محمد الماغوط ، وديع سعادة ، بول شاؤول ، سيف الرحبي ، وليد خازندار وغيرهم " ، ثم أن الذي وصله من الإسهامات العالمية لقصيدة النثر حتى عند آبائها الأوائل لم يكن مشغولاً بتلك المعارك ، من بودلير إلي ألان بوسكيه إلى سان جون برس ، حتى عند أكثرهم تطرفًا : " لوتريامون ، رامبو " ، لم يحمل أحدهم في قلبه هذا الحقد والكراهية ضد أشكال الكتابة الشعرية التي سبقت قصيدة النثر .

بروح بدت في البداية صارمة رأي ساكن الأطراف في آخر النفق قراره أن يكتب قصيدة النثر دون أن يكره لا عفيفي مطر ولا درويش ولا حتى البردوني و الجواهري ولا امرئ القيس ،

وأهم من هذا كله أن لا يحمل على ظهره عبء كراهية نصوصه التفعيلية القديمة التي يظل حتى الآن يحبها ، ويعتبرها جزءا منه سيظل يتحرك هنا وهناك ، هي ليست حشرات ليدعسها بقدمه ولا غائطًا يكنسه بمكنسته ، هي ليست عارًا يتحاشى الحديث عنه ، هي منه وستظل كذلك .

ثم أن هناك خطيئة لابد من التكفير عنها ، حدث أن ساكن الأطراف هذا – عند الصدور الأول للديوان – كان يظن أن دور الكاتب يتوقف عند تسليم نسخته إلى الناشر ، لم يسع إلى مراجعة قبل النشر ، هل فعل النأي ما عليه ؟ ، ربما ، ثم كانت الكارثة .

عندما تتجاوز الأخطاء المطبعية رقم العشرة فنحن أمام مشكلة فما بالك لو تجاوز الرقم مائة خطأ مطبعي ، هي كارثة دفعت بساكن الأطراف لأن يحجم وقتها عن إهداء ديوانه إلا لعدد قليل من الأصدقاء هم من سهر على تصحيح نسخهم .

عدا أنها جزء مني ، من ماضٍ لست في نزاع أخلاقي أو إبداعي معه ، هل في هذا الديوان ما يتجاوز النوستالجيا في جهدها الإيجابي ؟ ، هل غير إطراء البعض ، استعارة إحداهن لاسم قصيدة من قصائد الديوان (شجر الكلام) وجعلها عنونًا لديوان شعري لها .

شئ ما لم انتبه له سوى عند مراجعاتي لقصائد المجموعة ، شئ يمكنني بقليل من المجازفة أن أسمية نسف المعنى ، تجاوز الدلالة ، خصوصًا في قسم " جناس واتصاف بالسكون " ، في قصيدة " شمس هلام وظل يحترق " ثمة رائحة لهذا الجهد هناك .

حسنًا ، ليست ورطة تدفع ظهري للحائط ، هي رغبة لست في حاجة للبحث عن دوافعها ، أخذت قرارًا أن أفعلها وسأفعلها وليكن ما يكون

الشيخ زويد

ربيع ٢٠١٥

الإهداء

من أشرف العناني

إلى

أشرف العناني

وكل ما ينتمي لعزلة سعيدة

إشارة : جميع هذه القصائد كتبت بين ١٩٨٨ و ١٩٩٢

خريف المتوسط

شمسٌ هلامٌ .. وظلٌ يحترق

شجر الكلام

* نتوءات الشتاء والصيف *

خريف المتوسط

ليلٌ ..،

وظلٌ هامدٌ بالقلبِ ..،

يأتلف الفؤاد بحزمة ِالشوق ِالدفينةِ بينَ صمامهِ العلويّ

وبين فرقعةِ الصحائفِ :

لا يلف الوجدَ إلّا الوجد ُ..،

ولا يحب البحرَ الّا البحرْ ..

فضمديني ..،

هاتي آخرَ ما تلاهُ الموجُ للشجر الخريفيِّ الهويةِ ..،

يا نخيلَ الشطّ ِ : هل تعدو أخاديدُ الرياحِ على ضلوعكَ

والطيورُ تهجّ من أعشاشها ؟..

هل تفدُ القوافلُ / حانةُ الأمراء ِ وباحةُ الفقراءِ

والمتسكعينَ بلا قرارٍ أو هوية ْ ؟ ..

وهل تجيئكَ دَنْدَناتُ الريحِ مزهوة ؟ ..

تتلو جبالُ الثلجِ أغنيةَ الجنوبِ وتبتليها بالسُكاتْ ..،

وترجُ زَلْزلةُ القيامة ِ ..،

يحطّ شالُ الغيمِ فوقَ يمامةٍ بريةٍ ..،

والقلب ُ يهواهُ التسكعُ بين أصنافِ الغرامِ ..،

يشدهُ المبهوتُ

والصوفيٌّ

والعاشق ..

ليلٌ ..،

وظلٌ هامدٌ بالقلبِ ..،

يأتيكَ الصحابُ مباعدينَ عيونَهم

لسماجةِ الخبر المُرَقّعِ في صحيفةِ ليلك الآتي ..،

ولا أحدُ يجيبُ القلبَ عَمّا يأتلقْ ..،

ولا أحدٌ يجيبُ ..،

ولا أحد ..

ظلٌ ..،

وليلٌ هامدٌ بالقلبِ ..،

ويصطفيكَ البحر لنشوةِ الإبحار ..،

هل تبدو ملامسةُ النسيجِ كشرفةٍ للطفو فوقَ علاقةِ الماءِ

الزلالِ بماءِ عريشكَ الجوفيّ ونخلِها المعقوفِ بالوحدةْ ؟

سالتْ دماءُ النخلِ ..،

وسالَ خريفنا ..،

فلأيّ منحدرٍ يسدُّ الليلُ أبواب القراءةِ والغناءْ ؟

لأيّ مُنْعَطَفٍ يلفّ عيوننا رهقُ الفداحةِ والخطرْ ؟

ظلٌ ..،

وليلٌ هامدٌ بالقلبِ ..،

ويبتليكَ الغيمُ بغيمةٍ سَكْرَى ..،

وأنتَ أنتْ ..،

تطلّ من وهجِ اطلاعكَ من نزيفِ الأسئلةْ :

ليتَ انتهاءكَ للغرامِ يحلُّ مشكلةَ الغرامِ ْ ..

ليت انتهاءكَ للوطنْ ..

عكفَ المساءُ على مسائكَ فانتحى ركناً قصياً ..،

وانتحيتَ بعشقكَ البريِّ للبحر

وعشقها .. :

تقولُ بأن مشكلة البنفسج في القصيدةِ معضلةْ ..

وأن مشكلة الغموضِ .! ،

وأنتَ تستبقي على خاصِ الكلامِ ..،

تقولُ بأن ما بين الفؤاد وبينها شيءٌ

والشعر شيءْ ..

أنتَ الوحيدُ

ولا أحدْ

طلّتْ عيونكَ في قرار الريحِ ..،

عُلِّمْتَ التلاوةَ ..،

كيف ناءَ القلبُ يا قلبَ الغريبِ بحملهِ ؟،

وكيفَ أتقنتَ افتداءَ جميلَ أشعار السلالة بالمدنْ ؟ ..،

تتلو

وتعرفُ

أن بدايةَ العمر الخريفيِّ طلوعُ دجالٍ يسمى بالمسيحْ

على خريطةِ عمركَ البشريّ

مكللاً بالغار والفتنةِ ..

تتلو

وتعرفُ

أن زلزلةَ القيامةِ لا محالةَ قائمهْ ..،

وأنها نفخةُ اللهِ في آخر الزمن المؤرقِ بانتحال الأدمغةْ ..،

تتلو

وتعرفُ

أن أسماءَ الذينَ يودّعونَ كثيرةٌ :

فرغتْ دفاتر ذكرياتكَ من تصاوير الرفاقِ

فلا أحدْ ..

فرغتْ دفاتر ذكرياتكَ من عناوينِ البناتِ

فلا أحدْ ..

فرغتْ دفاتر ذكرياتكَ من كتاباتِ الشقيقِ

فلا أحدْ ..

وأنتَ أنتَ

ولا أحدْ ..

تَطْلي مساءَكَ بالنجومِ

وبالكتاباتِ النبيلةِ ..

ما يفعلُ الشايُ الثقيلُ برأسكَ المثقوبِ ؟

ما تفعلُ الريحُ في شجر الكتابة ؟

ماذا سيفرغُ بدركَ العربيُّ من جوف القديمِ أو الجديدِ سوى الصدأْ ؟

أتيتَ

وكانَ في الوقتِ متسعٌ لتروي الروم عن كسرى

ويروي الفرسُ عن قيصرْ ..

أتيتَ

وكانَ في الوقتِ متسعٌ لتركضَ في سماءِ قرطبةَ الجليلةِ

مهرةُ الفتحِ الأخير من السلالةِ ..

أتيتَ

وكانَ في الوقت متسعٌ ليروي ظلُّكَ العاري

كتابَ العابرين بلا قرارٍ أو هويةْ :

هل كان في بدءِ اصطفاءِ الأرضِ متسعٌ ليروي آدمُ المسكينُ قصَّتَهُ

ويعتذرُ ؟

هل كان للعذراءِ - لمّا أنْ أتاها الطيفُ – متسعٌ لتفهمْ ؟

هل كانَ للصحراءِ قلبٌ

كي تُطَبْطِبَ فوقَ أوجاعِ المهاجر من هوانِ الروحِ إلى السكنْ ؟

ها أنت ترمحُ في اتساعِ فضائكَ المزحوم بالأشباهِ

ولا أحدْ .

تقولُ :

للرملِ ذاكرةُ المهادنِ

يصطفيكَ بِبَوْحِهِ ؛

ما كانَ عنترةُ افتتاحَ مسيرةِ المدّ البطوليِّ ..،

ولا المقوقسُ حاكماً فرداً ..،

ولا التنينُ - في عرف الكتابة – قاعداً لبناتِ نيلكَ

يستحمُ بدمعهنَ ..،

ولا المُخَلِّصُ ماري جرجس ..،

ولا إيزيسُ مُخْلِصَةٌ ..

تقولُ :

أستفتي البلادَ على فؤادي ؛

أيُّ قُطْرٍ لا تحطُّ يمامتاكَ بنخلهِ

لا يصطفيكَ

ولا مودةْ ..

تقولُ :

ما زالَ في العمر متسعٌ لتنبتَ في بلادِ اللهِ جناتٌ

فراديسٌ مُنَعَّمَةٌ ..،

وأشجارٌ ..،

وأنهارٌ ..،

وغلمانٌ ..،

وحورْ ..

أنتَ تعرفُ أنَ مخزونَ الكتابةِ عن يمينكَ أو شمالكَ

حاكماً بين اطْلاعكَ وإطلاعكَ ..،

في أيّ منحدرٍ ستصعدُ ؟

لا تبالي الريحُ إن كان الصعودُ الهامشيُّ إلى عريشِ الروحِ

أو البناتُ تحطّ خضرتها وتمضي ..

تقولُ :

للريحِ أن تُبدي أصابعها ..،

للريحِ أن تسطو على زهو الحرائقِ في الربوعِ المتخمةْ ..

للريحِ أن تمضي ..،

وتمضي لسردِ خريفكَ اليوميِّ

ما بينَ ابتدائكَ بالقطيعةِ

وانتهائكَ بالذي يأتي على وجع الكلامْ ..

ها أنتَ حيٌّ ،

والبحرُ آخرُ مَنْ يُعيرُكَ وجْهةً للسير

فوقَ علاقةِ الماء الزلالِ بماءِ عريشكَ الجوفيِّ ..،

البحرُ آخرُ مَنْ يُعِيرُكَ وجهةً للسير فوقَ علاقةِ

الجُلنار بالرمّانِ والقطبينِ بالمتوسطْ ..

ها أنتَ حيٌّ ،

واليماماتُ التي أحْببتَ هادنتْ الهديلَ ،

ونتّفتْ ريشَ الغناءْ ..،

ها أنتَ حيٌّ ،

والفراشات التي لقّنتها درسَ الغرامِ ،

طلقتها .. / قد طلّقتكَ ،

فلا أحدْ ..

ها أنتِ حيٌّ ،

تطلُّ من آخر الوقتِ الخريفيِّ على الرمادِ ،

وأنتَ أعْلمُ من الرمادِ بالرمادِ ،

فلا أحدْ ..

لكَ أن تميلَ على خريطةِ دمعكَ البشريّ ،

كي تحصي النجومَ ،

وتستبدُ بنجمةٍ قصوى ،

تدنو بشرشفةِ الصباحات القصيةِ للعيونِ

فتستقرُ ..

لكَ أن تريحَ يمامتيك بِمِحْجريكَ فلا أحدْ ،

لكَ أن تحبَّ ،

فلا أحدْ ،

لكَ أن تصدَّ ،

فلا أحدْ ..

ها أنتَ أنتَ

ولا أحدْ ،

ها أنتَ أنتَ

ولا أحدْ ..

(العريش خريف ١٩٩١)

شمسٌ هُلامٌ وظل يحترق

غائصًا في رنة التأنيثِ

يأتلفُ المكان ،

و لاسعاتُ الطرفِ تسكن تحت ظل العادة الأولى ،

مائجٌ بردي ،

وساكنٌ حر النبيذِ ،

وطلعتي ؛

شتان بين مروج " بنها " و " العريش " ،

هنا سماءٌ من رقاقِ الضوءِ تخطفني لشعري ،

هنا حريقٌ ضامرٌ في غفلتي ،

الأرضُ حاسرةُ العيونِ

ومخملي فرحُ الغرائبِ ،

دهشتي حلل النجومِ ؛

إذا تَنَجّمَ عائدٌ للبرِّ

يفتحُ موجه البحر الغطيس

وينجلي شجر المحبة .

نخلةٌ حالت بوجه الريحِ عني ،

ثم أجّجت الرؤى ؛

نارٌ تكللني وتفرحُ ،

ثم أهرب في مجالِ تأرجحي :

ولدٌ غريبٌ فاتح الأحلامَ

منتشياً بفتنةِ داعرٍ ،

ثم عانقَ كاهلَ القيظِ .

سوف يأتيني شتائي ،

وأمسك بالطيور الهاربات إلى عراءٍ عامرٍ بالنور .

وجهتنا النبوع ،

وسوف نشرب – ما حيينا – من دماء النهر ،

نقول ساعتها : بلادٌ حالماتٌ باليراع الحي ،

ثم نختصر المدى في جلدنا .

لا تجابهني بظلي ،

أو فقل لي :

كيف تخضر النساء على ضفاف محبتي

شجراً ،

ثم نعناعًا ،

ثم لوتسةَ ،

فظلْ ؟

نحن مزروعون ! ،

إني المخيّر ،

بالأمس نقّطتَ العواصمَ فاستقرت نقطة النهر العجوز على لساني

وشاءَ لي حمّى ؛

أنا أحبكَ يا وريدي

ولا أحبكَ يا وريدي

أنا أريدك يا وريدي

ولا أريدكَ يا وريدي

أنا صغيركَ يا فجورَ القيظِ ورنّة الظلِ

استرحْ :

يا نيل ،

يا سماءَ المغرمين وهمسَ "نعسةَ" ،

أ ُصغي إليكَ ،

فلا تعذبني ،

كفاكَ ،

لأنها الدنيا صداكَ ،

وإنني تَعِبٌ ،

وإنكَ التعبُ ،

فكيف نصدحَ في صدى الأمشاج ؟

وكيف نعبر من سمانا عائدين إلى سمانا ؟

إنه ورق الثوابتِ والتحولِ ،

لا أراك اليوم إلا صرخةً مطمورةً بيني

وبيني ،

ثم بينكَ والفراغ ،

تشكو إليه ،

و كيف للملكِ الذي شاء المشيئة في علاهُ بأن يرد المتعبين ؟

لذا سأبتلع المدائن

والقرى

والبحرَ داخل معدتي المقروحة التعبى

وأمضي في هوائي ،

هنا ستطلع وردة الإبهام ،

تشرق من إصبع الأم الحنون ،

وتسترد بهاءها .

نحن اخترعنا للمساءِ مساءَهُ فينا ،

وسبنا وجهنا للبحر ،

فساءلتنا الأرضُ عن شرق الجهات ،

فلم نرد ،

ولم نفسَر لليمام غناءه ،

نحن الخيامُ الساكناتُ القفرَ ،

نحن السفائن في بحور بحورها الغرقى بتأنيثِ العواصم ،

والصدى أسرٌ وظلْ .

إنني تَعِبٌ ،

لذا سأذكر للنساء اللابسات سوادهن بأنني تِعِبٌ ،

ثم أخرجُ من هدومي للنسيم الشائكِ المرحِ الطروبِ ،

لعلها حججُ الرفاق تهيلني ،

وتهيل صوتي ،

كي نشدّ مساءَنا للنهر ،

نغسلهُ ،

ونهربُ في الكفور ،

و سوفَ أخشّ في حجر أمي .

كي أكونَ صغيرها ،

فتنهرني العيونُ الفارهاتُ بنجلها ،

والليلُ يخطفني ،

و يطردني الصقيعُ إلى فصولِ تصدعي .

بابٌ وحيدٌ ثم ينصدعُ الجدارُ ،

وشمسُ صوتكَ تتصدع .

وسنانةٌ غرفُ الكبار العائليةِ ،

والرجالُ يراودونَ نسائَهم عنهُ ،

و نيليٌّ سعيدٌ لا يفارقُ قاعةَ الدار .

للوقتِ عقربةٌ ستلسعُ إن قربتَ بجلدكَ المشقوق حقل تجاربي ،

فانزح بعيداً ،

لا تؤرخ للنباتِ أو البناتِ ،

ولا تحطَ على سماءٍ أو سما .

أصابعي شقّت عصا الطاعون ،

ثم تناولت شرق الجهات ،

ولم أفسّر لليمام غناءه ،

لذا سأمسكُ – قدرَ أفقي – بالطيور الهارباتِ

إلى عراءٍ عامرٍ بالنور ،

ثم تنخرط الدنا .

شجر الكلام

(إلى أحمد سواركة)

أصل

غريبٌ يحطّ حزينَ الكلامِ بكفي

ويمضي حزينًا ؛

حزينٌ يحطَ غريبَ الكلامِ بعيني

ويمضي غريبا .

فرع

آتٍ يقطّرُ سيسبانَ حنينهِ للماءِ يا قلبَ الغريبِ ،

قُطَيرةٌ نبتتْ

على جلدِ ارتباكِ النيلِ في حضنِ المسافرِ لانتعاش الرملِ ،

وباحةٌ حطّت صباحاتُ الصبابةِ

واخضرارُ القلبِ في كفّ الشجيراتِ الصبيةِ فوقَها ؛

هي زهرةُ الليمونِ تفتحُ في مساماتِ الهواءِ عروقها ،

يا نيلُ علّمنا الحكايةَ ،

وافتحْ كتابَ الغائبينَ

وشدّنا للماء ،

رقرقنا بنايكَ

و اشتعالاتِ الغناءِ على فضائكِ

شدّنا .

مَنْ ذا يسوقُ الشمسَ من أقصى البعيدِ

إلى أناملِ وردةٍ

شطرتْ محاريثُ الفجاءةُ لونها فاستشرقتْ ؟ .

آتٍ يقطّرُ سيسبان حنينه للماء ،

يَحطّني شالُ الصبيةِ فوق ثلجِ الثلجِ ! ،

ماذا غير وجه الريح يلوكُ في صمت اغترابكَ ؟

ماذا غير لياليكَ الثقيلة :

جسدٌ يحاصرهُ الغرام

ويُبتلى بالليل ؟ ،

ماذا غير زوبعة انشطاركَ

وانتهائكَ - تحتَ طائلةِ الحنينِ - لوردةٍ

خسرت بقاياها في يدين ؟ .

غصن

ماذا تزلزل غير المساء الذي كُنْتَهُ ؟ ،

عيونكَ تمضي ،

قطيعةٌ وجدكَ للماءِ ،

هذا الصباح الذي ينثني وردة ويبرقْ ،

هذي المسافاتُ ،

طعمُ ابتداءِ النزيفِ ،

وطعمُ انتشاءِ الذي يستهل القصيدةَ بالملحِ والنهنهةْ ،

مساؤكَ مِلحٌ ،

فمن ذا يزفّ النجوم لكفّكَ ؟

ماذا تحب النوارسُ فيكَ ؟ ،

فيا من يسوقُ ابتهاج النسيم

وصفو الصهيل لصوتي

تمددْ ،

وهاتِ اغتراب القصي ،

وسدد كلامك فِيّ ،

أريدكَ ماءً

يزفّ النهار إليّ

ويمضي .

قطوف

وقتٌ تدربهُ الأماكنُ واللغاتُ ،

وتستحيهِ وداعة النعناع ،

ينهرهُ الصدْأ .

جسدٌ يشاكسهُ النزيفُ الداخليُّ ،

فتبتلي بالدمع أنسجة القرار ،

بحرٌ تلملمه الشطوط ،

فتشتهيهِ مسامُ سائحةٍ تمرمرُ جلدها في شمسِ تمّوز القميئةِ ،

والنخيل - مراهقُ العينينِ - يُمطرُ في تفاصيلِ الهواءِ ذكورَتهْ ،

رملٌ يمدّ بساعديهِ إلى ارتعاشِ يمامتينِ

يمارسانِ العشقَ في أفقٍ يبددُ زرقَتهْ ،

قمرٌ تعبأهُ المراكبُ بانكسار الوقتِ في كفِّ التداولِ ،

والغناءُ يلوكُ في جسدِ المديحِ :

أسرى الذي صوتُ القرنفلِ من حدائقِ عشقهِ ،

هبطَ الذي نبتُ النهاراتِ ابتداءُ طلوعهِ ،

ذهبَ الذي ،

عادَ الذي ،

كلُّ الذي :

ما يشتهيكَ الماءُ يا وجهَ السفر .

نجمٌ وحيدٌ يكتفي بأفولهِ

خطوةٌ في مستهلِ السيرِ تسطعُ

غواية

* جناسٌ .. واتصافٌ بالسكون *

نجمٌ وحيدٌ يكتفي بأفوله

هي محضُ ذاكرةٍ ،

ولدٌ يشيّد سهوَهُ الأبديّ كيما يحتمي بالشعر ،

ما خيمةُ الوقتِ النبيلةِ غير ظلٍ ناعمٍ

ترمي عليهِ بجسمكَ الطفليّ

في ألق انسرابكَ للجلالةِ ،

كنا زُرافاتٍ هنالكَ نقتفي أثرَ الرياحِ ،

نروحُ من روحِ التفاصيلِ الصغيرةِ والهوامشِ

لاكتشاف براحنا ،

شِئنا ،

فأنشأنا المراوغةَ ،

انتشأنا - في تواتر خَلقِ محنتنا - ارتهانًا للعذاباتِ

التي لا تقبلُ التأويلَ ،

شِئنا ،

فجئنا بالقوافلِ مترعاتٍ بالصهيلِ ،

وبالجليلِ من الكلام ؛

لا يرهقُ الجسدَ النحيلَ

سوى الجِمالِ تحكّ أوجاعَ الجمال .

كنا زُرافاتٍ هنالك نقتفي أثرًا ،

وكان أمامنا من مخملِ السهو اللذيذِ

- أبدًا - ركامُ مديحنا ،

والوقتُ مأهولٌ بنا قد كان ؛

- ما ضرّ لو تفضي لهسهسةِ الرغابِ
  بما تخبئ من نوايا ؟ ،
- نجمٌ وحيدٌ يكتفي بأفولهِ

نجمٌ وحيدٌ يبتدي سرد الوقوف .

قلنا :

تهافتت الأصابعُ لانسجامِ طلوعها ،

قلنا :
نجئ من المكابدةِ اصطفافاً ،

كي نخيّر وجهنا بين السجودِ

وبين وصلِ المنتهى ،

قلنا :

نوحدُ بين بعثرةِ الهواءِ ،

فبعثرتنا الريحُ .

كنا زُرافاتٍ

وواحدُ نطفةِ المأخوذِ بالأفلاكِ

يأفلُ في مجالِ النطقِ ،

يسطعُ في مراودةِ السجايا ؛

غير الذي ينصَبّ في كأس انتشائكَ

ما انتبهنا ،

أهّلتَ سنحتكَ الشقيةَ لانعتاقِ بهائها ،

هي طَلّةُ الفيضِ المدبجِ بالتجلي

تحتفي بالقلبِ ،

تموسِقُ الجسدَ الشتاتَ ليصطلي ،

أتراكَ أجّلتَ ساعتها انشقاقكَ

كي يكومكَ التداني نقطةً تسهو

فلا تخشى انفلات القلب ؟ .

كنا زُرافاتٍ هنالكَ نقتفي ،

كنا نوائمُ بين ملمحِ بيدنا والصفو ،

- ما أفقُ صحراءِ التوغلِ غير توطئةِ اللهاثِ ،
  يسيلُ عنبرُها البهيجُ ليصطفي
  وجدَ المهادنِ حضرةَ الوقتِ ،
- لا يلفظُ الزيتونُ من وبر المرور سوى انتهاكِ الضوء ،
  إذ ينشقّ بطنُ الرملِ عن ماءِ الحضور ،
  ليستوى وردُ التجلي ،

ساعةً نمضي ،

ندبّ بسهونا ،

خطوُ الجمالِ يشيعُ في روح الفيافي ،

يا ملاحة سهونا ،

رغبَ المغني في الغناءِ

وحضرةُ الغيبيّ تأهيلٌ لصوتهِ ،

ما تقولُ الريحُ تسفحهُ النوايا ،

والقراءاتُ اختصارٌ للتمائمِ ،

ها هو الفيضُ الأخيرُ يهلّ ،

ويستحثُ وداعةَ التوقِ الصفيّ

ل

ين

هـ

م

ر

طيّري يا ريحُ بعثرةَ العيونِ ،

وطيّرينا ،

بجلدنا روحٌ تواري روحها

شغفًا بمؤتلق التصيدِ للهسيس ،

خطوةٌ في مستهل السير تسطعُ

طيّري يا ريحُ بعثرةَ العيونِ ،

وطيّرينا ،

بجلدنا روحٌ تواري روحها

شغفًا بمؤتلق التصيدِ للهسيس ،

وها هنا قمرٌ يشكّلُ محجريهِ ،

ويحتذي بالضوءِ .

قل لي :

أيّهذا الذي نَصَبتْ عيونكَ فخَّها في لحظتي ؛

لا أنتَ منتهجُ الغواية إذ تحلّ ،

ولا الملامسةُ اعتراكَ جلالها ،

رتّبْ طلوعكَ ،

هامشيٌّ من يريقُ العصفَ في دَرَجِ الفواتِ ،

الراحلون يحذرونَ ،

وفي نهاركَ يستبدّ الخطوُ ،

لديكَ تختبر الفصولُ عراءها .

حين التفتَ لوسعِ رؤيتكَ انتحيتَ ،

وقلت عن هوسِ المشاكسةِ :

اللغاتُ سجيةٌ ،

أنتَ انفطمتَ ،

فلا المشابهة استحثت حظها (عندي) ،

ولا خفق التأنق صحّ (لي) ،

إن أنتَ مَسطرتَ الهواءَ ،

ونزّهتكَ الريحُ عن نزواتها فَأْمَنْ (عليكَ) ،

صعّد يمامكَ في العراكِ ،

ودندن الآن أغنية تحّيد حزنها ،

قل : هو الرملُ اصطفاكَ ،

ولم تَغبْ ،

قل : هو الرملُ انخطافكَ في نسيجِ الصفو

لحظةَ أن تمرْ ،

قل : هو البحرُ انتماؤكَ للبراحِ ،

قل : هو القيظ التحافُكَ للحضور وللمدى ،

قل : هي الريحُ اصطيادكَ للحقولِ المرهفاتِ بنجلها .

لديكَ

أعرفُ

كم تجالسكَ السكينةُ ،

إذْ توردَ وجهُ لحظنكَ استرقتَ :

هي المُطَّيَّرة استتبَ صعودها ،

دبّت على أطُر المسيرةِ .

ما أنتَ إن جاشَ المريدُ برغبةِ التوقيتِ

تُفضي بارتوائكَ ،

أو يبادركَ السكوتُ ،

ما أنتَ إن طمسَ الحضور بماءِ وجهكَ ،

فاستويتَ على مضارعةِ الوقوفِ ،

وقلتَ للصحراءِ :

كوني وجهتي .

ماءٌ تأهبَ للسطوعِ ،

وجمرةٌ باتتْ على شَفَةِ الفجاءة فاستقر عواؤها ،

صعّد يمامكَ في العراكِ ،

لما سكوتكَ ؟ ،

والتواري أثقلَ المأهولَ فينا ،

قلتَ :

المصالحةُ اختيارٌ ،

والهناءةُ للذي خُيّرتَ فيه ،

فشدّنا لجلالِ وقتكَ ،

وانغمسْ فينا ،

صحراءُ وجدكَ تنتهي بالردِ ،

إذ سكنَ الضجيجُ فحدّثتكَ النارُ عن غزواتها ؛

للنار ضرعٌ يستحيكَ إذا التقاكَ مضيعًا في لحظتِكْ .

ها أنتَ أسكنت التفاسيرَ التوجسَ ،

واحتفظتَ بثلجِ طلعكَ للخصوصِ ،

فمن ترى يستثني حرفكَ من شقاقاتِ الحروفِ

لتأتلف ؟.

حذرًا تواترت السماتُ ،

فروضت فوضى الصعودِ ،

وزينتكَ بسرّها .

ها أنت تمرجُ من خليطكَ صافيًا ،

ثم انخرطتَ على شغافِ الخطو فانبلجَ الزفيرُ ،

وكللتكَ الريحُ في طيرانها ،

فاقرأ كتابكَ ،

عن يمينكَ شهقةُ الترغيبِ حصحصَ وقتها ،

مرِّر نسيجكَ من ملامسةِ النسيمِ ،

و ضوّئ الآن الكلام بلحظتك .

لا هيأةٌ للخطو دون الانخراط فشدّنا ،

وعّرٌ صراطكَ فاسترق لي برهةً ،

ثم انتحِ .

غواية

ملءُ عينيها النعاسُ ،

بغير إذنٍ تدخلُ الألوانُ في ميقاتها الشتويّ قاعَتها ،

فتقيسُ بهجَتها بلونٍ

كي يقاسمها السكونَ ،

وينتهي بالنطفةِ الأولى لغرسِ بدائعِ الإنصاتِ في كفّ الليالي .

تركتُها يهيلُ أبيضها المكانَ ،

وتبتني عرسَ البساطةِ في سماءِ الطيبينَ ،

تقولُ للبلدِ الأمينِ :

أنا سماؤكَ

فانسربْ ماءَ المحبةِ في سمائي ،

وتقولُ لي :

إن لي حصنَ النقاوةِ

فاعتصمْ بخطاكَ

و ادخلني دخولَ الفاتحين ،

أو اتخذني عروةً لقميصكَ الغجريّ ،

أنا البهيةُ

فاختلطْ بخطاكَ فِيّ ،

وسمني باسمي ،

يا أيها الولد العنانيَّ الغوايةَ سمني باسمي ،

وارمحْ بخيلكَ في حقولِ مواسمي ،

واقطفْ جناني ،

نمنمْ رؤاكَ بما تيسرَ من صفائي ،

وانشرْ سلامكَ في العتب .

المماليك

رائحةُ الأخضر

رنين

أقصى بياض الريح

* أجنحةٌ ناقصةٌ لقفصٍ كامل *

المماليك

أعمدةُ الكرنكِ غائرةٌ في النقشِ المملوكيِّ وحاضرةِ الفاتيكان ،

والقتلةُ محتاجونَ لعطفٍ بابويّ ،

والقاتلُ – في لهجة أهلي الريفيين – قتيلٌ ! ،

كيفْ !؟ .

الناسُ سواسيةٌ في العزفِ ،

كأسنانِ المشطِ مساويةً حد " الأوكتافْ " [1]

دو .. ري .. مي ..

---

[1] - السلم الموسيقي

فا ..

صول .. لا .. سي ..

كتفُ الأهرامِ عليلٌ ،

والماشونَ - على جسدِ البازلتِ - حفاةً يحترفونَ الرقص .

مأهولاً بالهدأةِ

والفرحِ المفتوحِ على الآخر ،

مضطرباً في زوبعةِ الرامين حرائقَهم في نَصّ اللحظةِ ،

كان بوسعكَ يا جبليّ الرقصَ بقرطٍ معقوفٍ وقلادهْ .

لكنك

ل

ك

نكَ

أعني لكنكَ ! ،

....

لا يكتمل المشهدُ في حضرةِ سيدتي اللغةُ المسكونةُ بالعفريتْ .

كان العداءون يقيسونَ الميلَ بأطرافٍ مرتعشةْ ،

والساسةُ يغترفونَ من الحكمةِ

مثلَ الحكماءِ

وأكثر ! ،

كانوا عظماءَ جدًا ! ،

حكماءَ جدًا ! ،

مظلومينَ لأنكَ ظالمْ ..! .

لو أنكَ تدركُ هذا الإثمَ

لكنتَ عبرتَ أمينًا مأمونَ النظرةِ

من جانبِ إصغاءِ الحائطْ .

كذابٌ ! ،

تعرفُ ،

والكذبُ دليلكَ للغرفةِ ،

فالباب – كما يفترض المشاءونَ – مراوحةٌ

بين سرير الخمرية و ال...... ؟ ،

والقاعةُ مقفلةٌ بالضبةِ ،

فاسترق السمعَ ،

يحدّكَ من جهةِ الحائطِ حيطانٌ ،

تكعيبةُ صوتكَ لا ترقى للرقصِ الغربيِّ الغارقِ - عن آخره - في رجرجةِ المارةِ ،

بدويًا ،

ريفيًا ،

غجريًا ،

أفترضُ بأنكَ قدستَ النقشَ ،

وطافَ هواؤكَ في سمتِ الغزلانِ الشرقيةِ ،

هل يملكُ إبهامكَ أن يومئَ للبحر ؟ ،

ويرفض أن يرتقي الشاعر بالكرنكِ للجسمِ الشجويّ ؟

وهل تنجو من صدّكَ شجرةُ صفصافٍ

وقلادةُ فُلٍ شتويْ ؟ .

هراءٌ

وهراءٌ تفتعلُ الزهرة حجةَ إغماضٍ وتجلٍ ،

تمتهن السبابةُ حرقةَ لازوردٍ مرتجفٍ قارصْ .

مجنونٌ يا جبليّ ،

لو أنكَ تطلعُ من ورقِ المعبدِ مخمورًا ،

ينتبهُ السادةُ ،

إنكَ طفلُ الرغباتِ المقصوفِ الخاطرْ ،

فاتبعها ،

وردتكَ المأكولةِ في الصيفِ تشاطرْ

واحدةً من أروعِ ألحان الشيخ إمام(٢)

لتقولَ بأنكَ مربوطٌ في الشرفةِ

حين يؤذنُ مذياعُ المقهى عن موعدِ فجرٍ ،

فتطلُ صغيراً من حجر القلبِ

وتستلفُ الرهبةَ من أمكَ ،

تدمغها ،

تعصرُ رئتاكَ شحيحاً من خمرٍ

فتدوخُ .

جليلاً يا مجدَ النعناعِ المأخوذِ بلكنةِ مائعةٍ ! ،

أقصدُ مائعةً جداً .

من أجلِ الضامر

والكاسر

والمكسور

يحطّ الخنجرُ قبعةَ الوردةِ

حمراءَ كانت

بيضاءَ كانت

سوداءَ كانت

مالكةً .

[٢] - مغني سياسي مصري

أخبركَ بأنكَ فرديّ في حشو القلبِ المستودعِ أصنافًا قاسيةً
من هوسِ النسوةِ بالنسوة
أو بالخوخ الحلبي .

أسميكَ لأعرفَ أسماءَ ملوكٍ قعدوا ،
أيقنتَ تقولُ جنونَ الرقصِ ،
ويتعبُ "دقّاق الساعةِ" (٣) إن شِلتَ بعينك أسماءً
تتلاشى في عز الرؤيةِ ،
ماضيكَ يحطَ عباءتهُ في وسع الحجرةِ
والباحةُ تستعطفُ حنّاءً مجهولَ الصاحبْ ،
والناسُ سواسيةٌ ،
الناسُ سواسيةً إن شاءت وسوسةُ الآسْ .

[٣] -دقاق الساعة اسم شعبي في العامية المصرية لنبات الشوفان الذي ينمو مع القمح وللتسمية علاقة بلهو الطفولة في الأرياف حيث كان الصبية يأخذون بتلة زهرته الجافة ويثبتونها في لعابهم الذي بصقوه على التراب فتدور من تلقاء نفسها كما لو كانت عقرب ساعة

رائحة الأخضر

حمّالة الرئتين يبتدع الغوايةَ ،

والعروقُ شوارعٌ شهقت بكامل جسمها ،

ورقٌ يدورُ ،

وبيننا هذي المسافة ،

لا مسافة بيننا ،

طعمُ الشواء يهجُّ من ظمأِ الرمادِ

ليستوي بدنًا لأنثى ،

رئتاكِ بابٌ دائريٌ ،

داخلوهُ كخارجيهِ ،

ألم يحللكِ الغرامُ لألفِ حافلةٍ

وليلٍ مفردٍ ؟ ،

بابانِ من السُكْر الفاقعِ

والمرمى شجرٌ يرتجّ ،

وينهالُ على شجرٍ يرتجّ ،

نهرٌ ينسالُ على نهرٍ ينسالُ ،

جمادٌ كلّمهُ الحيّ

فسبح للحيْ ،

مساءٌ يمشي بمساءٍ

ويطيل الهمسْ ،

وذا زمنٌ ينفرطُ على زمنٍ ،

فاكهةٌ تزدان بفاكهةٍ ،

بدنٌ يحتالُ على بدنٍ

فيدومُ وينمو .

كم سيحتاج المساءُ لنتقي جسداً كهذي الكهرباء

إذا أصرت نجمة تبدو على نفقِ العيون الشائكاتِ ؟

كنايةٌ ! ،

نعتٌ ! .

شجرٌ ينامُ ،

وسلطةٌ للرملِ تسطع في الظهيرة ،

ساقٌ على ساقٍ

والصبحُ ينتعل الجسومَ

وينتهي للبحر ،

يأخذنا الغناءُ بقسوةٍ ،

ثم تأكلنا المسافةُ :

مشورتُ ليلاً كاملاً ،

كنا نمرّ وخطونا ريحٌ ،

تبددتِ الجهاتُ وقالَ طيرٌ عابرٌ :

قمرٌ يقيمُ ،

ويستديمُ على الأريكةِ طالعًا كتفّ الدخان ،

جزنا فناءَ الليلِ فالتهبَ البرونزُ ،

وأدركت قدمُ الرياحِ حروقنا ،

كان الهواءُ مضلعًا ،

تتغرسُ الكعوبُ ،

وتحتفي بالبرقِ أبهةُ الأصابعِ ،

جئنا من العرقِ الخفيفِ ،

فداهمتنا الخمرُ عاديَةً ،

وفارَ عواؤنا ،

رأسٌ يدورُ ،

وما بنا ؟ ،

تلكَ الهوايةُ من طلاها ؟ ،

من رماها من سماءٍ في عيونٍ ،

واصطفاها ؟ ،

تلك الألوان – مُحَجّبَةً – تهبطُ من شرفةِ خمرٍ ضيقةٍ

لليلِ

وتسكنُ لَيلَكَ (٤) تلكَ العينينِ الضيقتينِ /أُحبكِ

هذا ميثاقٌ يحتدمُ ،

وهذي أبوابٌ ضيقةٌ بانتْ .

بدنٌ يهتزُ ،

وينبوعٌ يغشاهُ المارةُ ملتبساً بالحبِ ،

وذا صدركِ يرتفعُ سماءً ثامنةً يرتاحُ عليها الحمّالونَ ،

وعندكِ أصنافٌ من شهدٍ كاملةَ النضجِ ،

وبيتكِ من شَعر الصبوةِ ،

شبت حنجرةُ المعنى فانفجرَ الأخضرُ بعثرةً وحريقاً :

بيتُ الحنّاءِ يميلُ بأسرار الشهوةِ

منفرداً بغناءٍ صاخب ،

---

[4] - المقصود زهرة الليلك

من لملمَ هذا الملكوتَ

ورتبهُ في بدنٍ واحد ؟ ،

هذا ميراثُ النيليين ،

وهذا قمحُ البشرةِ مبسوطًا

حينَ يحطّ بهزّاز الذيلِ تشوقهُ للقُبلهْ ،

غيطانُ الغلةِ(٥) غارقةٌ في ذهبِ الصيفِ ،

وعيناكِ تلامستا

مدنًا كاملةً بقبابٍ

وبيوتٍ

ودخانٍ لاذعْ ،

ثوبكِ مقدودٌ ،

و سماءُ الصيفِ مشققةٌ ،

كفاكِ يطالانِ دوّارَ الشمسِ ليختفيا ،

يمشي اللبلابُ ،

ويختصر المنفى ،

فتزول طلولٌ سامقةٌ ،

ويحنّ الطمي ،

---

٥ - الغلة من الأسماء الشعبية للقمح

لعينيكِ تحنّ الساعاتُ ،

ويستمعُ القطنُ كتلميذٍ نابهْ .

دارت خضراءُ الجسمِ برائحةِ الشوقِ ،

وأسرجت النارَ ،

عامانِ من البينِ الصادحِ

والمرمى شجرٌ يرتحلُ

ورائحةٌ تخمشُ أظلافِ البيتِ ،

فيرتعشُ القطنُ ملاطفةً ،

ويدورُ حريقْ .

رنين

شقراءُ

شقراءُ الأصابعِ ،

والأصابعُ خيرتني بين بابينِ

انطفائي والجحيمِ .

أنا هنا ،

من أين ينهمرُ الرنينُ ،

وهل يجنُ الليلُ مفتونًا بأفخاذِ الفراشِ ؟ .

أنا هنا ،

والنارُ تختارُ الفراشةَ ذاتها ،

صنمٌ جهولٌ لا أراهُ ولا يراني ،

رضوانُ مشغولٌ لغايتهِ بصدي عن مديحِ الوردِ

والشجر الحلوبِ .

أنا هنا ،

وقتي يرتقُ جلدَهُ ،

ويديرُ نظرتهُ قليلاً ،

ظلي خجولٌ قدرَ ما ضحكَ المصيفُ

على طفولةِ نخلةٍ طالت ،

فطالتها البروقُ .

أنا هنا ،

شاءتْ موسوسةٌ مصيري ،

فانحدرتُ ،

وكنتُ فارس خطوتي ،

فلمن ترى كانت مسهدةٌ تفرّ ؟ ،

وأين مرساها اليمامة ؟ .

أنا هنا ،

عشرونَ أغنيةٍ سأحفظها ،

وأهبطُ في المغيب لهجرةٍ أخرى ،

لتدعوني العناكبُ بالأبوةِ ،

والخرائب بالجنونِ ،

أنا هنا ،

رأسي ثقيلٌ ،

وذاكرةُ السوسناتِ تقيمُ هيكلَ سدرةٍ

كانت أصابعها تشيرُ إلى الحجيجِ ،

يداهمونَ بداوةَ الخشخاشِ ،

بكلِ فجٍ يهبطون مهندمينَ لكعبةٍ ،

من كل ترحالٍ يسوقون القوافلَ

مترعاتٍ بالجِمالِ .

أنا هنا ،

رئتانِ في جسدٍ عطوفٍ

تصيدتا الهواء بنبلةٍ خشبيةٍ ؛

طارَ الهواءُ ،

فما وقوفكِ يا ديار المغرمينَ بساحِ قُبَرةٍ

تنامُ عجولةً خوفَ القصاصِ .

أنا هنا ،

جسدٌ نحاسيٌ

وقلبٌ عامرٌ بالكائناتِ العائليةِ

أينَهُ ؟ ؛

بيننا يا بيتُ أسرارٌ صويغرةٌ

وأسئلةٌ بسيطةٌ ،

كنتُ المسافر دائمًا ،

والبيتُ مأهولٌ بحنكةِ لهجةٍ لا تستقيمُ

سوى لحزنٍ ساقطٍ للتو من شجرٍ ثقيلِ الظلِ

مكروبٍ ،

أيُنا يا دار يزحفُ للعراءِ ؟ ،

وأي أجنحةٍ ستلتقطُ الهشيمَ برأفةٍ ؟ .

كانوا هنا ،

مرت أصابعهم صحافُ البرقِ

فوقَ ترابِ لحظتهم فشاطتْ ،

واستدركت عرباتهم خطر الوقوفِ ،

فأيقنوا – في ضجة التكريمِ – إخفاق الفَراش ،

طار الهواءُ

فما وقوفكِ يا ديارَ المغرمين بساحِ قُبَرةٍ تنامُ عجولةً خوفَ القصاصِ ؟ .

مواجدٌ مرتْ

وأخرى تهتدي للدار

فآمني أني هنا ،

لا العشق الذي نعتَ الفراشة بالجنونِ مدللٌ ،

ولا السهادُ هو الذي يجترّ من دمِ الليالي ،

إنما ورق الغواية مدركٌ خطر السطوع .

أقصى بياض الريح

(إلي سلامه أبو قويفل)

تتنفسُ ،

ريحٌ بيضاءٌ في الغرفةِ تتنفسُ ،

تحبو الليلاتُ على نصلِ الشرفة

فيفرُ هلالٌ عربيٌ من قفصِ الخاطر ،

تلكَ فلاةٌ يحبسها الأبيضُ

تحتَ جناحيهِ قليلاً ،

فلماذا يتقصى الرعويُ عن العزلةِ

في هذا الفلكِ المتزاحمِ ؟ .

قد يهبطُ في أقصى الصيفِ مضاربهُ ،

ويصيد سماءً من شهدٍ وحنينْ .

قد يسألُ :

ماذا ينتظرُ الليلكُ من فصلٍ قاريٍّ

أحمرهُ شردٌ

ومساءٍ يحتالُ على النسوةِ كي يمرحنَ بكحلٍ موقوتٍ

ويفدنَ بأنفاسٍ شاردةٍ للحافةِ ؛

ما من رائحةٍ للعتمةِ

حتى تشْتَمُّ الصحراءُ عشيرتَها الموبوءةَ بالحبّ ،

ما من أثرٍ لسعالٍ يتقصى موهبةَ الصدفةِ

ما من صرّيخٍ يسعى مفتتنًا بعراءٍ شاحبْ .

قد يصعدُ

يأتي " الفِرّ " (٦) من الجنةِ مزحومًا بنحولهِ

لا ينزلُ ،

لكن يتَنَزَّلُ ،

يسقطُ من سقفِ العتمةِ موثوقًا بلهاثٍ يخبو .

---

[٦] ـ الفر باللهجة السيناوية هو طائر السمان المعروف وهو من الطيور المهاجرة التي تأتي إلى سيناء في موسم الهجحرة " سبتمبر " من كل عام

هذي بوابةُ وقتٍ تتملكهُ ذائقةُ الشاي ؛

يصلُ " الدخّانُ " (٧) على عجلٍ ،

ليطوفَ بياضٌ رغويٌّ في قفصِ الصدر ،

و تنهالُ تلابيبُ الشهوةِ .

فلماذا ينتظرُ " الباز "(٨)على تلّةِ عينيهِ ليالٍ كاملةٍ ؟ ،

ولماذا تتقصى الصدفةُ عن جسدٍ ناحلْ ؟ .

قد يرحلُ ،

يدخلُ من ثقبِ القيلولةِ مخفياً بغناءٍ خافتْ ؛

كلّ مقيلٍ يأخذ زينتهُ ،

ولكل مريدٍ لذتهُ ،

تحتفل " الِمضْباحة "(٩)حين يُجَنْسِنُها جسدٌ يتبارى

وعيوناً تطلق أسراراً نافرةً لفضاءٍ فجٍ .

ثديٌ تشتدُ مواهبهُ

فيقصٌّ

ويحكي ؛

---

[٧] - الدخان هو السجائر باللهجة البدوية

[٨] - من صقور الصيد

[٩] - قصبة تشبه الناي شجية كانت تعزف عليها الراعيات في الماضي القريب لكنها انقرضت ولم يعد لها وجود

هل شاكلَ من جسدِ الرملِ كتاباً شفوياً في الحبِ

ليقرأهُ العائد للتوّ على كفّ جسارتهِ ؟ ،

بيت الحنّاءِ يبورُ لو انقطعت أخبارُ الريحْ ؛

لا تمشي الريحُ على ساقٍ ،

بل تأتي من بابِ الصدفةِ أحيانًا ،

وكثيرًا من خلف القلبِ مباشرةً ،

بيضاءً تأتي ،

قامتُها تورقُ أغصانًا لكلامٍ هشٍ ،

لا تهمسُ ،

لكن تتكلمُ :

من أقصى نجمكَ يا رعويٌّ عن الشرفةِ ؟

هاجرتُ ولم تنبت تحتَ قميصي نرجسةٌ واحدةٌ أخفيها

هل غبتَ كثيرًا ؟

قمرُ " المرعايةِ " (١٠) في العالي

حدِّثْهُ

رحل السمّار عن السامر وأدركتُ هلالاً يتفسخُ

أُخْفيكَ فلا تسعى

أبصرتُ النارَ على رأسِ بداةٍ يرتحلون بكاملِ هيئتهم لفجاجٍ يعلمها الله

كان يمرّ على الريحِ بلا قلبٍ

ينبسطُ الأبيضُ تحت جناحيهِ سريرًا فيخفُّ .

---

١٠ - من الطيور المهاجرة التي تفد إلى سيناء في مواسم هجرة الطيور (سبتمبر من كل عام) ، تشبه السمان لكنها أكبر منه حجماً

قد طارَ كثيراً ،

فلماذا ينزعجُ البيتُ على مضضٍ ؟ ،

ولماذا ينهمرُ الأبيضُ فوقَ فلاةٍ بحنينٍ خافتْ ؟ .

نزيف

أمسية

سقوط فردي

عزلة

جنون

شماليةٌ

*** شروخ على حدةٍ ***

نزيف

(إلى محمد عزيز)

لأن اليودَ ينشعُ من أظافرنا ،

والبحرُ متسعٌ لأوجاعٍ صغيرةٍ ،

سنحرقُ حافةَ الأحلامِ دونما خجلٍ ،

ونزرعُ في خصوبةِ دمعنا شجرًا مزيفْ .

هذي مرايا الأفقِ ساخنةٌ كأنثى ،

وخلفَ القلبِ لا يمشي الحنينُ على الأصابع ،

كلُ ذاكرةٍ تطاردُ غيمةً في الرأسِ نتبعها سكارى ،

وندخلُ في برودة ظلنا .

ماذا سنحرثُ

إن تبعثرت الجروحُ بلا قوامٍ تحتَ تحتْ

وانخرطت سماءُ الرأسِ في فصل الضحك ؟ ،

كنتَ ترشقني بصمتكَ

واحتراقُ التبغِ فوق سخونةِ الشفتين ؛

" هذا قميصي

فاحملوه إلى أبي "

ماذا سأحملُ يا صديقي لو انتهينا للخرابِ ؟ ،

هذي الرمالِ جحيم جسمي ،

والبحرُ يفقأُ مقلتيهِ بلا قرارِ

وأنا أدورُ بلا دوارِ ،

ماذا سأحملُ يا عزيز ؟

وأنتَ ترشقني بصمتكَ

والبلادُ تحطّ صندلها جواري دونَ آيةِ مغفرةْ ،

فكيفَ تنهضُ مشرقًا من شرفةِ القلبِ الفسيحةِ ،

ثم تبصقُ في المدى ؟ .

أمسية

الغرفة التمعتْ بآلافِ النجومِ ،

ثم تصدعتْ من صوتِ نورسةٍ وحيدةْ ،

تلك الذنوب تدقّ عظم الأمسيات بلا ضجيجٍ

كي أُسمي وحدتي نبتًا

وأقصفهُ بزهوٍ عائليٍّ .

سقوط فردي

كل يوم

أختار عاصفةً

لأسقطَ من أظافرها

مثل صقرٍ مُجهدٍ

ما من عراءٍ كي أطاردهُ

يطاردني

ثم أختتمُ النهار بخيبةٍ أخرى

وإغماءٍ فسيح .

عزلة

وحيداً

مثل طفولةٍ قصيرةٍ تئنُ تحتَ ظهيرةِ الوجع ،

كنتُ لا أبغي سوى ظلي ،

أي ريحٍ سوفَ تصفعني بآلافِ النعوتِ ؟ ،

أي بردٍ سوف يلسعني بآياتِ الطنينِ

يشدّ أوتاري وقوسي ؟ .

لا أراني غيرَ أمسيةٍ تلمُ سكوتها من كلِ حيٍّ ،

صحراءٌ تعششُ في دمي ؛

ماذا لو أَضعتُ - بلا صراخٍ - بوصلةَ التخمينِ

واجتزتُ المهالكَ دونَ أمنيةٍ وحيدةٍ ؟ ،

هل أمضي بلا زمنٍ ؟ ،

يفاجئني الصباح - على سريري - بالحنينِ النيّ ،

يخطفني من الأحلامِ

إذ أجلستها - رغم الهباءِ - على جبيني ؛

كل عصفورٍ يجدفُ بين كفيّ أوادعُهُ ،

فيقفزُ من دمي ،

نخبي رعودٌ أسكبها جميعًا

دون - حتى - دمعةٍ ،

هل يذكرُ الأصحابُ

أني قد تركتُ - على أصابعهم - حروقي ؟ ،

خجلاً أفتشُ - تحتَ جلدي - عن قصاصة حكمةٍ ! ،

بي رغبةٌ في السُكْر ؛

نفسُ الخرابِ هو الخرابْ .

حمّى تداهمني ،

فأجلسُ - تحت جلدي - ساخنًا

أحصي ما تبقى

من هزائمَ لم تدمْ لي ،

والرفاقُ يحاصرون شهيتي ،

وأنا أفتش - تحت جلدي - عن قصاصةِ حكمةٍ

أو - حتى - خرافهْ .

ماذا سأقصفُ - حين تلبسني النحافة – غير ظلي ؟ ،

ماذا أطاردُ - في دمي - غيرَ الفكاهةِ ؟ ،

كل القنافذ قد أتمتْ عريها ،

واستسلمت للريحِ ذرات الغبار .

جنون

أي جنونٍ يرفعُ البحرَ

ويدلقهُ فوقِ رأسي ؟

أي جحيمٍ يرفعُ البحرَ ؟

الأظافرُ ذاتها تحفرُ في عويلي

كم مدينة سأطردها – دون خوفٍ – من سمائي ؟

كأسي سأشربها وحيدًا

ثم أرجعُ للصحابِ

أشمّ – فيهم – غربتي .

شمالية

إلى مَلَك

تجرأي عليّ ،

خذي نيلي ،

وشعري ،

وردةَ الروح السحيقةِ ،

وانثري ورقَ الجنوبِ على الشمالِ ،

أو انثري ورقَ الشمالِ على الجنوبِ ،

وبعثريني .

لا ريحَ بعدكِ سوفَ تستلُ العريشَ لعرشِ قلبي ،

فاعصفي بي ،

رجرجي الأبيضَ المتوسطَ المأخوذِ للأعرافِ

والقيظِ البدائيِّ ،

زلزلي شجرَ المساءِ

يُساقطُ الأنسابَ في قانونها الأزليّ ،

فانتفضي

وقولي :

ذا مساء يستريحُ فوق صدركِ ،

ذي تباريح الغوايةِ تمتعض لهشاشة

الماشينَ فوقَ حصيرةِ الدنيا بلا هدفٍ

سوى التأريخ للنظرةِ ،

وذي دارٌ تشرّدُ أهلها ،

وذي أطر المحبة خاوياتٍ من طلى الأمشاجِ ،

صافيني ،

فنيليٌّ ،

ومعجونٌ بماءِ العشقِ ،

منساقٌ لوصيةِ الحكماءِ ،

مأخوذٌ لخمرةِ الوجهِ الملائكيِّ الحضور

هو ذا أنا ،

مَرحٌ حيثما يثبُ الصباحُ على الصباحِ ،

وتستهلُ سماؤكِ البللور طلعَتها بفرحٍ ،

حيثُ تَبدينَ الكبيرة

والصغيرة

والشقية

والملاكْ

لهذا البابِ أبوابٌ تطلّ على براحي ،

فانفضي التعبَ القديمَ

وزاوجي بيني وبيني ،

واهمسي لي ؛

أعرفُ أنهم يرمون عينيكِ بشرٍ لا سماويٍ ،

فاعصفي

قدرٌ أن تصالحني البلادُ

وأرتضي برواحلِ النائي من الرؤيا ،

وقدرٌ أن أحبكِ ؛

لا خيطَ يفصلُ بين بشاشةِ الرؤيا ووجهكِ ،

فكيفَ تزوغُ أضلاعي

لمسكٍ في شتاتِ الريح ؟

صنعاءُ (١١) وجهتكِ الحبيبة تختفي بقلاعِ بهجتها ،

وتبعدُ في مجالِ بهائها ،

والعريش - كما ترين – مسوقةً لسجيةِ الطاووس ،

فاعتصمي بذاتكِ ،

آمني ،

---

١١ - صنعاء هنا اسم آدمي

بردٌ ،

سلامٌ ؛

للرماد الآدمي حدودهُ عندي ،

ولى فرحُ الصعودُ إلى خصوصي .

روحِ طائر

هذا الصدأ

محبة

طَلَلِيةٌ

* قواطع في اختطافِ الهمس *

روح طائر

بي رغبة الإفضاءِ ،

فلتهدأ قليلاً ،

ثم غادرْ ،

أوكلّما سددتُ وقتي باتجاهكَ

تنتحي صوب السرائرْ !؟ ،

إني وحيدكَ ،

والمدى زنزانةٌ ،

والظلُ عاقرْ ،

إني وحيدكَ ،

والكتابةُ بيننا

عمرٌ من التضييعِ حائرْ ،

إني وحيدكَ ،

يا قصياً في القصيِّ ،

وساكناً في روحِ طائرْ .

هذا الصدأ

الرمادُ هو الرمادْ ..،

ومسافةٌ تطويكَ يا صوتي ..،

أتيتَ من حجر الضلوعِ معباً بالصمتِ ..،

متشحاً بفراغ هذا القلب ..،

لم تأتِ كما تأتي النوارس بهجةً للبحر ..،

لم تأتِ

كما يفد اليمامُ على العيونِ

محاذيًا للوجدِ

منتشيًا بخضار أجنحته ..،

أتيتَ من حجر الضلوعِ معباً بالصمتِ

متشحًا بفراغِ هذا القلبِ

يا أنتَ الذي

لم ينبت النوّارُ فيهِ ..،

ولم يعلمهُ البنفسجُ طعمَ أحزانهْ ..،

ولا القَرنفلِ طعمَ جمرتهِ ..،

أتيتِ من حجر الضلوعِ

معباً بالصمتِ

متشحًا بفراغِ هذا القلبْ .

محبة

قالت لموعدنا الذي

كان التحام الصُلبِ في رأس المودةِ :

إنني ترفُ الأحبةِ ..،

فاستقمتُ على مشارفِ دربها ..،

اخترتُ المساءَ ذريعة للعشقِ ..،
وقلتُ :

فلتعصف ذراع الريح بالجسدِ النحيلِ ..،

فزغرد الطفلُ الذي يستوطن الرؤيا

وناداني ..،

بكل الحبِ ناداني ..،

فقلتُ لخطوتي :

شدّي

فلي آنٌ جميلٌ يواعدني

لأختزل السنين بلحظةٍ

تبقى

ولا تمضي .

طَلَلِية

" قفا نبكِ "

هنا شبت تلالُ النارِ واقفةٌ على إبرٍ مُسَوَّمَةٌ .

وطارت في حرائقها ..،

هنا بحرٌ تباعدَ في براءَتهِ

وباعد بينَ شطيهِ ..،

هنا نهرانِ يختلفانِ ؛

إذا انتهيتَ بظللكِ العاري إلى جهةٍ

تعيرُ مساءها للمِلح

فأعلن عن وصاياكَ الأخيرةِ

وانتمي للطينِ /

مطفأةٌ وثلجٌ ناعمٌ في ماسةِ التاجِ ..،

أيا صفةَ البلوغِ تواتري ،

من أول المزجِ النبيّ لسترةِ الولدِ المشردِ في طواحينِ الرؤى ..،
قولي :

لا فراشاتُ الحريقِ ترفّ في كفّ الوليّ ،

ولا المساءُ الأعجميّ ملغمٌ بدمعِ " سراقةَ " المأجور ..،

داويني بشقِ شقائقِ النعمان ؛

هل " أضحى التنائي بديلاً عن تلاقينا ؟ "

أم المدي ندفٌ مُسَجَرةٌ

وسقفٌ عامرٌ بالسلِّ والطاعونِ ؟ ،

هنا جهتي ؛

فدليني على جهتي .